تكريس القلب[1]

❁ ❀ ❁

إنجيل قداس كل من الأحد الثالث والأحد الرابع من شهر هاتور يتكلَّم عن حياة التكريس. وبهذه المناسبة نقدِّم للقارئ هذه المقالة القيمة للأب القديس القمص بيشوي كامل عن "تكريس القلب".

كلمة "تكريس" معناها "تخصيص"، وتكريس القلب لله معناه دخول القلب في محبة الله وطاعته. وغالبًا ما يرتبط التكريس – في فكرنا الآن – بفئة معينة من الناس: الكهنة، الرهبان، الخُدَّام المُكرَّسين، بيت التكريس ... فيقول الناس إن هذه الوصايا الصعبة إنما قالها الرب للرهبان أو للكهنة. والحقيقة أن تكريس القلب هو حياة عاشها جميع المؤمنين الحقيقيين، عاشتها الكنيسة كلها: فالجميع وضعوا مقتنياتهم تحت أقدام الرسل. وفي عصر الاستشهاد وضع الآلاف رقابهم وليس أموالهم تحت السيف، وبعد انقضاء عصر الاستشهاد عاش الآلاف في الجبال والبراري وشقوق الأرض محبة في الملك المسيح. وعاشت الأسرة المسيحية في تكريسٍ كامل، أمام الله، عيشة تُضارع حياة المتوحدين في حياتهم من أجل المسيح. لقد كُشِف للقديس مقاريوس عن حياة سيدتين تعيشان بالإسكندرية، حياتهما تُعادل جهاده الطويل أربعين سنة في البرية. فهاتان السيدتان متزوجتان من أخوين يسكنان معًا. يحبان بعضهما كنفسيهما حتى أنه لم تقدر الواحدة أن تُميِّز ابنها عن ابن الأخرى. تعيشان مكرستين وقتيهما للصلاة وأعمال المحبة وخدمة زوجيهما بأمانة وطاعة لوصية المسيح ... إذن، فنحن الآن محتاجون لدعوة عامة لتخصيص القلب لله، أي تكريسه، دعوة الكنيسة كلها.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد ديسمبر ١٩٧١، ص ١٩.

كيف يبدأ التكريس القلبي؟

يبدأ بلقاء شخصي مع الرب يسوع كلقاء السامرية، ولاوي (متى)، وزكَّا، والمجدلية. ويبدأ بتنفيذ وصية الرب يسوع: «بِهذَا نَعْرِفُ أَنَّنَا قَدْ عَرَفْنَاهُ إِنْ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ» (١يو ٢: ٣). ويبدأ بالترك محبةً في المسيح، فتركت المرأة جرتها والخمسة أزواج، وترك لاوي مكان الجباية، وتركِ بطرس السفينة، وأعطى زكَّا نصف أمواله للمساكين. ويبدأ بدافع حبٍّ قوي للذي أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، كي لا أحيا فيما بعد لذاتي، بل للذي أحبني وأسلم ذاته من أجلي.

التكريس مركزه القلب:

«يَا ابْنِي، أَعْطِنِي قَلْبَكَ» (أم ٢٣: ٢٦). لذلك كل حركة في المسيحية لا تبدأ من القلب تؤدي إلى نتيجة عكسية، ومن أجل ذلك ينبغي أن نُخفف في عظاتنا في الكلام عن اللبس والانحلال الخُلُقي والانحراف. ونُكثر من الحديث عن حب المسيح، والرجوع لحضرة الآب، والدخول في شركة حب مع المسيح. وهذا سيؤدي بالتبعية إلى ترك الخطية، وحياة الحشمة والطهارة. إن الشباب اليوم يميل للاندفاع والتهور، وهذه يقابلها من ناحية التكريس: الجرأة والشجاعة والجهاد بشدة للوصول للمسيح والبذل حتى الذبح. هذه الصفات الجريئة موجودة في قلب شبابنا اليوم، وإنها لفرصة ذهبية للكنيسة أن تستغل هذه الصفات وتدعو لتكريس القلب للمسيح. ونحن نسمع اليوم عن رجوع الكثير من شباب الهيبز إلى طاعة إنجيل المسيح. وشهادة على ذلك نذكر أن شاول الضعيف هو بولس الشجاع؛ ومريم المصرية الراقصة هي القديسة مريم المصرية السائحة في برية الأردن؛ وموسى الأسود القاتل الزاني المتكبر هو القديس موسى العفيف في توبته، القوي في جهاده والعميق في اتضاعه والساعي إلى الاستشهاد.

إذًا، فالتكريس دعوة لتحويل ما في القلب لحساب المسيح. هي دعوة لتوجيه النفس إلى الملكوت الموجود داخل القلب: «مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ» (لو ١٧: ٢١).

التكريس هو الحياة من أجل الله:

كيف يعيش الإنسان الذي كرَّس قلبه وحبه لله؟ إن السلوك الطيب الأخلاقي ليس معناه التكريس، ولكن التكريس معناه أن يضع الإنسان كل شيء من أجل المسيح، التكريس هو أن يكون هدف حركة الإنسان وحياته هو الله. هناك فرق بين إنسانة تسلك

بلباس الحشمة من أجل حُسْن سلوكها، وأخرى تلبس لباس الحشمة من أجل المسيح. هناك فرق بين إنسان يُقدِّم ماله للفقراء شفقة عليهم، وبين إنسان يصنع هذا الأمر من أجل المسيح. القلب المُكرَّس، تكون حياته مُوَّجهة من أجل الله: «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ» (١كو ١٠: ٣١). القلب المُكرَّس يأكل من أجل الله، يعمل من أجل وصية الله: «بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا » (تك ٣: ١٩). الطالب في كُلِّيته يُذاكر بجد من أجل مجد الله، لأن كُلِّيته هي الوزنة التي أعطاها الله له ليتاجر بها ويعمل بها. لا فرق بين كلية مستقبلها عظيم ومجموعها كبير وأخرى أقل منها. ليست العبرة بالكم، ولكن أن أُقدِّم كل ما أملك من أجل الله، ولو خمس خبزات بسيطة من طفل صغير.

والذي يحتمل تجربة فلأجل المسيح: «لِذَلِكَ أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ» (٢كو ١٢: ١٠). إن أكلنا فمن أجل الله، وإن لم نأكل وصُمنا فمن أجل الله: «الَّذِي يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ يَأْكُلُ لأَنَّهُ يَشْكُرُ اللهَ وَالَّذِي لَا يَأْكُلُ فَلِلرَّبِّ لَا يَأْكُلُ وَيَشْكُرُ اللهَ. لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يَعِيشُ لِذَاتِهِ وَلَا أَحَدٌ يَمُوتُ لِذَاتِهِ. لأَنَّنَا إِنْ عِشْنَا فَلِلرَّبِّ نَعِيشُ وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ. فَإِنْ عِشْنَا وَإِنْ مُتْنَا فَلِلرَّبِّ نَحْنُ» (رو ١٤: ٦-٨). والذين يتزوَّجون، فليكن ذلك من أجل المسيح لتكوين أسرة مقدَّسة. والذين لا يتزوَّجون، فليس احتقارًا للزواج، ولا هروبًا من مسؤوليات العالم، ولكن محبة في المسيح ولأجل الله، سواء كانوا خدامًا في العالم أم متوحدين في الصحراء. والذين يُنجبون أولادًا فمن أجل الله، ليُقدِّموا قديسين لله. لقد طلبت حنة (أُم صموئيل النبي) من الله ابنًا لتُقدِّمه لله؛ وطلبت حنَّة (والدة العذراء مريم) من الله ابنة لتُقدِّمها للهيكل؛ وطلبت والدة بطرس خاتم الشهداء من الله ابنًا لتُقدِّمه خادمًا للكنيسة وشهيدًا. هؤلاء طلبوا من الله أبناء ليُقدِّموهم لله.

التكريس والخدمة:

هناك فرق بين تكريس القلب وبين الخدمة. **أولًا:** التكريس والدخول في ملكية الذي اشترانا بدمه هي وصية إنجيلية: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ» (١كو ٦: ١٩، ٢٠). أمَّا الخدمة فدعوة من

صاحب الكرم. **ثانيًا:** تكريس القلب لله شرطٌ أساسي للخدمة. والعكس، الخدمة بدون تكريس ليست من أجل الله بل لحساب الذات. وحذارِ من الخلط بين الخدمة والتكريس. الشخص الذي يُكرِّس حياته للمسيح يعطي كل ماله لله (سواء كان قليلًا أو كثيرًا)، سواء كان خمسة أرغفة شعير من طفل أو ٣٠٠ فدان من أنطونيوس الكبير. الإنسان يُكرِّس قلبه بأن يعطي الكل (كل ما عنده)، يأخذ الكل (الرب يسوع)، وبعدما يأخذ المسيح، يقف كالجندي الشجاع على أُهبة الاستعداد في انتظار إشارة من صاحب الكرم يدعوه للخدمة. ربما تكون دعوة للشهادة أو للاستشهاد، أو دعوة للصلاة للآخرين، أو دعوة لمحبة الجميع، أو دعوة لمواساة الحزانى، أو دعوة لجذب زميل لي بعيد عن المسيح؛ ربما تكون دعوة للصلاة الخفية من أجل الخُدَّام، من أجل البطريرك، الأسقف، الكاهن، خادم مدارس الأحد؛ ربما تكون دعوة للرهبنة أو الكهنوت.

ليس علينا أن نُحدِّد نوع الدعوة، ولكن علينا أن نستجيب للدعوة. والذين يُحدِّدون لأنفسهم خدمة، يخرجون دون أن يدروا عن وظيفة الخادم الذي يُمنطِقه الرب ويمضي به إلى حيث لا يريد. يخرجون إلى حياة الذات التي تفرض على صاحب الكرم برنامج الخدمة. يخرجون عن حياة الخادم المُكرَّس قلبه لله، الواقف على أُهبة الاستعداد للخدمة. يخرجون إلى حياة المُدَّعي أنه خادم فقويت ذاته وحلَّت محل الله مُدبِّر الخدمة. يخرجون عن حياة الصلاة والصمت والانتظار إلى حياة فُقدان الصلاة والصمت والتهور. من هذا يتضح أن الخدمة ثمرة طبيعية لتكريس القلب لله تحت قيادة الروح القدس.

وما مصير الذين يخدمون بدون تكريس القلب أولًا؟

لا بد لهم إمَّا أن يفتروا يومًا، لأن للخدمة أتعابها التي لا يمكن احتمالها بدون تعزية من الله. وإمَّا أن ذاتهم ستتضخم داخل الخدمة، فتصبح خدمتهم مضادة لخدمة المسيح، مع أنها داخل كنيسة المسيح. كل هذا يدعونا نحن الخُدَّام أن نفكر ألف مرة في تكريس حياتنا بالكامل كل يوم لله.

متى ولِمَن نتحدَّث عن التكريس؟

إنها طبيعة الحياة مع المسيح في كل وقت، ولكل فئة وفي أيِّ سنٍّ: نُحدِّث الطفل ليُقدِّم خبراته. نُحدِّث الشاب ليُقدِّم جسده ذبيحة حيَّة مقدَّسة بالعبادة العقلية: «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً

عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ» (رو ١٢: ١). نُحدِّث الشابة لتهتم لا بالزينة الخارجية بل بزينة الإنسان الخفي في القلب: «مُلاَحِظِينَ سِيرَتَكُنَّ الطَّاهِرَةَ بِخَوْفٍ. وَلاَ تَكُنْ زِينَتُكُنَّ الزِّينَةَ الْخَارِجِيَّةَ، مِنْ ضَفْرِ الشَّعْرِ وَالتَّحَلِّي بِالذَّهَبِ وَلِبْسِ الثِّيَابِ، بَلْ إِنْسَانَ الْقَلْبِ الْخَفِيَّ فِي الْعَدِيمَةِ الْفَسَادِ، زِينَةَ الرُّوحِ الْوَدِيعِ الْهَادِئِ، الَّذِي هُوَ قُدَّامَ اللهِ كَثِيرُ الثَّمَنِ» (١بط ٣: ٢-٤). نُحدِّث المرأة لكي تتبع خطوات سارة وتطيع زوجها. ونحدِّث الرجل أن يهتم بأسرته كوكيل الله في محبة. نُحدِّث الجميع: «كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥). فتصبح كل أعمال الأسرة مُوجَّهة لمجد المسيح.

إحساسات القلب المُكرَّس لله

١ – يتحرَّك القلب المُكرَّس للمسيح دائمًا نحو التوبة، فالتوبة عنده إحساسٌ دائم بعدم الاستحقاق أمام تواضع المسيح الشديد جدًا الذي دفعه ليسكن في قلبي القذر، قذارة أكثر بكثير من فضلات الحيوان في مذود بيت لحم. كل مرة أتقدَّم فيها للتناول من جسد الرب ودمه، ينكشف أمامنا سر تواضع يسوع، فنقول له: "لسنا مستحقين أن تدخل تحت سقف بيتنا"، هذه المشاعر المصحوبة بالانسحاق، ستدفعنا للاستمرار في حياة التوبة بلا توقُّف.

٢ – والتكريس القلبي حركة مستمرة للتأمل في حب يسوع في المذود، في حَمَل الله حامل خطية العالم، في الوقوف أمام الصليب، في القيامة مع المسيح، في صعود ربنا بجسدنا للسماء. التأمل في حب يسوع في أمثاله ومعجزاته وتعاليمه. التأمل في حياة الرب على الأرض ومعاملته للخطاة. التأمل في تسبيح الملائكة، وفي حياة القديسين والشهداء. التأمل في وصايا الإنجيل وعُمقها ثم تنفيذها. إن حياة التأمل المستمر هي حياة القلب المُكرَّس، إنها أشبه بالدائرة الكهربائية التي تسري الكهرباء في أسلاكها بدون توقُّف. نشكر الله أن الإنسان الذي يعيش حسب أعياد الكنيسة وأصوامها وتاريخ قديسيها، يجد فيها ينبوعًا لا ينضب من الحركة الباطنية للتأمل، فيفيض من بطنه أنهار ماء حية تنبع إلى حياةٍ أبدية.

٣ – والقلب المُكرَّس له ميل طبيعي للحديث المستمر مع يسوع. فالصلاة أو الصلة بيسوع هي بداءة كل عمل: «فِي البَدءِ كانَ الكَلِمةُ» (يو ١: ١). فالصلاة هي الوقود المستمر لإلهاب القلب بالحب الإلهي. الصلاة في القداس الإلهي هي نوع من العطش والجوع، ونار

حب لا تُروى إلَّا بدم المسيح الشهي، وبجسده مُعطي الحياة. وهنا تصبح "صلاة يسوع" حياة طبيعية للقلب المُكرَّس، كذلك ارتفاع القلب نحو الله في ساعات آلامه.

٤ – والقلب المُكرَّس يحس بأن نصيبه هو الرب: «لكن ما كان لي ربحًا، فهذا قد حسبته نفاية ... لكي أربح المسيح» (في ٣: ٧، ٨). القلب المُكرَّس يحسُ بالشكر الدائم، لأن نصيبه هو الرب. قلب يعيش بلا هم، لأن الرب ساكنٌ فيه، يُدبِّر أمور حياته، وكل الأمور تعمل معًا للخير. والقلب المُكرَّس يعيش في عمق الحرية، بلا شهوة للعالم، لأن الرب يسوع هو شهوته، وبلا خوف، لأن ليس لأحد سلطان عليه، إن لم يكن قد أُعطي من فوق. إنه قلبٌ يعيش في سلام يفوق كل عقل. سلام ليس كما يُعطي العالم، سلام يتبعه الفرح الذي لا يستطيع أحد أن ينزعه منا. هذا القلب لا يطلب مجد العالم، لأن الرب نصيبه. يفرح في الآلام، لأن الرب نصيبه معه في أتون النار: "قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصًا". قلبٌ ليس للعالم نصيبٌ فيه، لأنه ليس من هذا العالم، بل الرب هو نصيبه. إغراءات العالم لا تجذب نظره، لأن نصيبه مُفْرِحٌ، هو الرب.

٥ – والقلب المُكرَّس مملوء بالحب نحو الجميع، نحو جميع الناس في العالم الذين أحبهم الله، وبذل ذاته لأجلهم. يتألم لبُعد أي إنسان عن المسيح. إنه قلب يحس بإحساسات الأب الذي وقع على عُنق الابن. قلب يطلب باستمرار من أجل الخروف الضال ليُفرِّح قلب المسيح.

أخيرًا، القلب المُكرَّس هو قلب قد خُتِن بختان المسيح (٢كو ٢: ١). ختَنَه المسيح ختانًا أبديًّا مُعلنًا أنه صار مُقدَّسًا للرب، آمين.

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر. فرع الميرغني